القسم الدراسى

الفصل الثانى

التعريف بالكتاب

obeikandl.com

obeikandl.com

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

أكثر علماء القرن الثامن الهجرى ترجموا الصفدى ، بعضهم من شيوخه ، وبعضهم من تلاميذه ، أو أقرانه ، أوحسّاده ثم جاء مَنْ بعدهم من المؤرخين ، فتحدّثوا عنه ، وعن مؤلفاته ، وجميع ما بين يدىّ من تراجمه أخَلَّت بذكر كتابه هذا ؛ وفى الوقت نفسه لم يرد له ذكر فى كتب الصفدى الأخرى ، أو فى إجازاته التى كتبها لمستجيزيه ، وبالرغم من كل ذلك فمن المؤكد نسبة الكتاب إليه ، وأنّه مؤلفه ، وصاحبه ، للأسباب الآتية :

أولا : نُسِب إليه على غلاف المخطوطة ، وهو بخطه ، وهو له فى فهارس دار الكتب المصرية ، وعنها ينقل دحداح وبروكلمان [١]

ثانيا : الكتاب بخط يده ، من أوله إلى آخره ، ولو كان الكتاب لغيره ، وهو ناسخه ، لذكر ذلك فى خطبة الكتاب ، وترجم مؤلفه ، وكشف عن سبب نسخه له ، وهذا معروف عنه فى أمانته العلمية [٢] .

ثالثا : أسلوب الكتاب ، ومنهجه يؤكدان ذلك :

فالأسلوب : يمتاز بطول الجمل ، والالتزام بالسجع ، وكثرة المترادفات ... وكلها من خصائص أسلوب الصفدى [٣] .

والمنهج عنده يمتاز بميزات خاصة ، منها :

١ - المقدمة ويتناول فيها موضوع الكتاب فى العلوم العقلية والنقلية ، ويؤرخ لتطور ذلك الموضوع ، وتعريفاته المختلفة .

٢ - الاستطراد ، والتنقل من غرض إلى غرض .

٣ - الرواية بالإجازة ، عن شيوخه ، وهو هنا ينص على بعضهم منهم : ابن سيّد الناس ، وأبو الثناء محمود ، وابن الوردى ، والصفى الحلى ....

٤ - إثبات ما له من مشاركة ، فى الفن الذى يتناوله بالدراسة فسجل ما له من

---

(١) انظر : Dahdah Rocheid : Catalogue d'une collection de manuscrits arabes Precieux et des livres rares , Paris , 1912, p 1990 وتاريخ الأدب العرب ق ٦ / ١٢١ .

(٢) انظر مقدمة كتابيه : تمام المتون ، والغيث المسجم .

(٣) راجع كتابى « الصفدى وآثاره فى الأدب والنقد » مقدمة الباب الثالث .

شعر فى القول بالموجب ، فى ثلاث عشرة صحيفة ، تضم ٤٧ نتفة من شعره ، وأكثرها مثبتة له فى كتبه الأخرى .

٥ - لا يفوته أنْ يبيّن أصل المعنى ، والسابق إليه ، والآخذون عنه

٦ - أكثر مارواه ، وبترتيبه ، نقله عنه العباسى [١] ، فى معاهد التنصيص [٢] ، ونسبه إليه ، ومن بعده ابن معصوم [٣] فى أنوار الربيع [٤] ، وغيرهما ، وأكثر شواهده ذكرها ابن حجّة [٥] فى كتابه خزانة الأدب [٦] .

بكل هذه الأسباب أؤكد نسبة الكتاب لمؤلفه .

متى ألّف الصفدى هذا الكتاب ؟

ليس فى الكتاب ما يفيد تاريخ تأليفه ، والمؤكد أنّه كتبه بعد سنة ٧٤٩ هـ ، وذلك للسببين الآتيين :

الأول : لم يرد له ذكر فى ثبت مؤلفاته الذى كتبه بخط يده فى إجازته لحفيد أبى الثناء محمود [٧] فى الثالث من شهر شوال ، من سنة ٧٤٥ هـ ، بديوان الإنشاء الشريف ، بقلعة الجبل ، بالقاهرة ، وذكر فيها من مؤلفاته ١٤ كتابا [٨] .

---

(١) أبو الفتح ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (٨٦٧ - ٩٦٣ هـ) عالم ، أديب ، ناقد ، محدث ، له معاهد التنصيص ، وفيض البارى بشرح غريب صحيح البخارى . انظر : الأعلام ٣ / ٣٤٥ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٠٥ .

(٢) انظر : معاهد التنصيص ٣ / ١٨١ - ١٩٦ .

(٣) على خان بن أحمد ، الحسينى (١٠٥٢ - ١١١٩ هـ) أديب ، لغوى ، شاعر ، ناقد ، له أنوار الربيع ، وسلافة العصر . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٩ / ١٦٤ ، والأعلام ٤ / ٢٥٨ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٨ .

(٤) انظر : أنوار الربيع ٢ / ١٩٩ .

(٥) أبو المحاسن ، أبو بكر بن على ، تقى الدين (٧٦٧ - ٨٣٧ هـ) شاعر ، أديب ، ناقد ، من كتاب الإنشاء ، له خزانة الأدب ، وكشف اللثام . انظر : الأعلام ٢ / ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٧ .

(٦) انظر : خزانة الأدب ١ / ٢٥٩ ، وأماكن متفرّقة من الكتاب .

(٧) أبو الفضل ، محمد بن إبراهيم بن أبى الثناء ، كمال الدين ، الحلبى (٦٢٦ - ٧٦٩ هـ) أديب ، شاعر ، من كتاب الإنشاء . انظر : الدرر ٣ / ٢٩٧ .

(٨) جاءت هذه الإجازة فى آخر مخطوط « الحسن الصريح فى مائة مليح » رقم ٥١٢٠ / أدب ، دار الكتب المصرية ، وهو بخط الصفدى . =

والثانى : أنّه يعقّب على أسماء شيوخه بالاسترحام عليهم ، بعد وفاتهم ، وكان آخرهم ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

أقسام الكتاب :

قسّم الصفدى - بحسب منهجه المعروف - كتابه إلى الأقسام الآتية :

١ - **خطبة الكتاب** : وبدأها بحمد الله تعالى ، والصلاة على رسوله ﷺ ، وآله ، وأصحابه ، ثمّ بيّن مكانة هذا الفن كنوع من أنواع البديع ، وما له من لطف ذوق ، وجمال تعبير ، وتحدّث عن مبتكره من العلماء .

٢ - **المقدمة** : وتناول فيها بدْء القول بالموجب عند علماء أصول الفقه ، وكيف أخذه عنهم البلاغيّون مسلّما ، فهم كالعيال عليهم فيه ، ثمّ ذكر تعريفه عند ابن أبى الأصبع باعتباره مبتكر هذا الفن .

٣ - **الفصل الأول** : ما جاء فى القول بالموجب فى النوادر .

٤ - **الفصل الثانى** : ما جاء فيما جاء فى ذلك من الشعر .

موضوع الكتاب :

تحدّث الصفدى عن بدْء ظهور فن القول بالموجب عند الأصوليين ، ونقل تعريفهم له من كتاب الأحكام فى أصول الأحكام لسيف الدين الآمدى .

ثم عرّف هذا الفن عند البلاغيين وبدأ بابن أبى الإصبع - وكعادة الصفدى - تتبع تاريخه منذ ظهوره إلى عصره فأورد نص تعريف ابن أبى الأصبع ، وانقطع الحديث قبل أنْ يكمل التعريف ؛ ففى المخطوطة جزء مفقود تضمّن باقى التعريف وتقسيم البلاغيين له ، وبدْء الفصل الأول ، وبعضا من نوادره النثرية ، ويمكن أنْ نتصوّر هذا الجزء المفقود على النحو التالى :

التعريف الذى اختاره الصفدى لهذا الفن هو : « أنْ يقع فى كلام المتكلّم شىء ، يعنى به نفسه ، فيثبته المتكلّم لغيره ، من غير تصريح بثبوته له ، ولا بنفيه عنه ، وقد جاء فى القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿يَقُولُونَ لَئِن

= ونشرها الدكتور صلاح الدين المنجد مصورة ، فى مجلة المجمع العلمى العربى ، بدمشق م ٣٣ / ٥١٧ - ٥١٩ ، تحت عنوان « صورة سماع لصلاح الدين الصفدى » .

رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ الآية [1] ؛ فإنّهم كنوا بالأعز عن فريقهم ، وبالأذل عن المؤمنين ، فأثبت الله سبحانه وتعالى صفة العزّة لله ولرسوله ، وللمؤمنين ، من غير تعرُّض لثبوت حكم الإخراج بصفة العزّة ، ولا لنفيه » [2] .

وقول الغَضْبَانِ بن القَبَعْثَرَى - وكان من زعماء الخوارج - وكان مع صحابة له فى بستان ، وذُكِر الحجّاج ، فدعا عليه قائلا : « اللَّهُمَّ سَوِّدْ وَجْهَهُ ، وَاقْطَعْ عُنُقَهُ ، وَاسْقِنِى دَمَهُ » .

فلمّا ظفر به الحجّاج سأله عن ذلك ، فقال : أردت العنب فقال متوعِّدا : لأحملنّك على الأدهم .

فقال : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب .

قال : وَيْلَكَ ؛ إنّه حديد .

فقال : لأنْ يكون حديدًا خير من أنْ يكون بليدًا [3] .

« فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان ، وفى هذا ما لا يخفى على المتأدب ، وشدّة الباعث على فعل الخير ، إذ لا يليق بمن له همّةٌ عالية أنْ يُقَالُ له : مثلك من يفعل الخير ، فيقول : لا ، بل أفعل الشَّرَّ » [4] .

وتناول هذا الفن - بعد مبتكره - بالتمثيل ، والشرح أبو الثناء محمود ، فى كتابه « حسن التوسل فى صناعة الترسل » ، وهو من الكتب التى قرأها الصفدى على مؤلفه ، ورواه عنه بالإجازة ، وجعله ضربين :

أحدهما : أنْ يقع صفة فى كلام مُدَّعٍ شَيْئًا ، يعنى به نفسه ، فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا لنفيها عنه ، ومثّل بالآية الكريمة التى سبق ذكرها من سورة « المنافقون » .

---

(١) سورة المنافقون ٦٣ : ٨ .

(٢) الغيث المسجم ١ / ٢٦٢ .

(٣) حدائق الأزاهر ٨٤ ، وفيه رواية مطوّلة للحادثة ، وأنوار الربيع ٢ / ٢٠٩ ، ونفحات الأزهار ٩٤، والبلاغة العربية فى ثوبها الجديد ١٠٥ .

(٤) خزانة الأدب ١ / ٢٥٨ .

والثانى : حُمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده ، بما يحتمله بذكر متعلّقه ، ومثّل لهذا النوع بقول ابن الحجّاج ، وابن الدويدة المعرى [1] .

ونقل الصفدى أمثلة أبى الثناء محمود ، وتقسيمه ، وعنهما تناقلهما البلاغيّون من بعدهما على الترتيب التالى :

١ – القزوينى : أبو المعالى محمد بن عبد الرحمن ، جلال الدين ، المعروف بخطيب دمشق [2] ، فألّف في البلاغة كتابيه « تلخيص المفتاح » ، و « الإيضاح فى شرح تلخيص المفتاح » .

٢ – السبكى : أبو حامد ، أحمد بن على بن عبد الكافى ، بهاء الدين [3] ، فصنّف فى البلاغة كتابه « عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح » .

٣ – التفتازانى : مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين [4] ، فوضع كتابه « المختصر على تلخيص المفتاح » .

٤ – المغربى : ابن يعقوب [5] ، فصنّف كتابه « مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح » .

٥ – الدسوقى : محمد بن أحمد بن عرفة [6] ، فكتب حاشيته على شرح السعد للتفتازانى .

---

(١) حسن التوسل ٨٥ .

(٢) (٦٦٦ – ٧٣٩ هـ) قاض ، فقيه ، أديب ، يتقن – إلى جانب العربية – الفارسية ، والتركية . انظر : أعيان العصر ٤ / ٤٩٢ ، ووفيات السلامى ١ / ٧٦ ، والأعلام ٦ / ١٩٢ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٤٥ .

(٣) (٧١٩ ت ٧٧٣ هـ) فقيه ، أصولى ، ولى قضاء الشام ، ومات مجاورا بمكة . انظر : الوافى بالوفيات ٧ م ٢٤٦ ، وألحان السواجع ١ / ١٠٠ ، وإنباء الغمر ١ / ٢١ ، والدارس فى تاريخ المدارس ١ / ٣٦٦ ، والدليل الشافى ١ / ٦٢ وحسن المحاضرة ١ / ٤٣٥ ، ودرّة الحجال ١ / ١٠٠ ، وتاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق ٦ / ٢٦ ، والأعلام ١ / ١٧٦ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ١٢ .

(٤) (٧١٢ – ٧٩٣ هـ) من أئمة العربية ، والبيان ، والمنطق . انظر : الأعلام ٧ / ٢١٩ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٢٢٨ .

(٣) من علماء القرن الثانى عشر ، جاء فى آخر كتابه : كان الفراغ من تأليفه بمكناسة المحروسة ، يوم الجمعة ، فى منتصف النهار ، فى الرابع والعشرين من المحرم عام ثمانية بعد المائة والألف » .

(٥) (ت ١٢٣٠ هـ) من علماء العربية ، ورجال الأزهر الشريف . انظر : الأعلام ٦ / ١٧ ، ومعجم المؤلفين ٨:/ ٢٩٢ .

كما نقل عنه أصحاب البديعيات الذين نظموا فى هذا الفن وشرحوا نَظْمَهُم بأنفسهم ، أو شرحه غيرهم ، وفى الشروح استشهدوا بأمثلة الصفدى ، وإليك حديثا موجزا عن هذا الفن ، وأشهر الذين نظموا فيه .

البديعيّات :

وهى قصائد شعريّة ، تتناول التمثيل للفنون البلاغية ، كان أوّل من ابتكر هذا النوع من النظم هو : السليمانى [1] ، فنظم قصيدته التى أوّلها :

بَعْضُ هَذَا الدَّلاَلِ وَالإِدْلاَلِ حَالَ بِالْهَجْرِ وَالتَّجَنُّبِ حَالِى

وعدد أبياتها ٣٧ ، وفى كل بيت فن من فنون البديع ، وأولها فى الجناس التام والمطرّف [2] .

ثمّ جاء من بعده صفىّ الدين الحلّى الذى نظم بديعيته فى مدح رسول الله ﷺ ، فى ١٤٥ بيت ، وضمّنها ١٥١ فن من فنون البديع ، وشرحها فى كتابه « الكافية » ، وأوّل بديعيته :

إنْ جِئْتَ سَلْعًا ؛ فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ وَاقْرَ السَّلاَمَ عَلَى عُرْبٍ بِذِى سَلَمِ

وذكر الحلّى فى مقدمة شرحه لبديعيته أنّه توصّل بها إلى الأمل فى الشفاء من مرض ألمّ به ، كما فعل البوصيرى من قبل ، وبسط بين يدى كتابه موجزا لتطور الكتابة فى البلاغة كالآتى :

١ - كان ابن المعتز [3] أول من كتب البديع ، وجمع منه ١٧ نوعا ، وجمع

---

(١) على بن عثمان بن على بن سليمان ، أمين الدين الإربلى (ت ٦٧٠ هـ) شاعر ، كان جنديّا ، فتصوّف . انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٠٠ ، والأعلام ٤ / ٣١٠ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٤٧

(٢) نسبها عبد الله الجبورى للصفدى خطأ ، بناء على المخطوط رقم ٩ / ٥٧٥٩ مجاميع . انظر : فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ٣ / ١٤٦ ، ولم ترد فى غيره . وراجع القصيدة فى : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٠٢ ، وفوات الوفيات ٣ / ٣٩ ، وأنوار الربيع ١ / ٣١ .

(٣) أبو العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله ، أمير المؤمنين (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) شاعر ، ناقد ، أديب ، له كثير من المؤلفات . انظر : كامل ابن الأثير ٨ / ١٤ ، ودول الإسلام ١ / ١٧٩ ، والأعلام ٤ / ١١٨ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٥٤ .

منه معاصره قدامة بن جعفر [١] ٣٧ نوعا ، توارد على سبعة منها مع ابن المعتز ، فتكامل لهما ثلاثون نوعا [٢] .

٢ - ثم جاء من بعدهما أبو هلال العسكرى [٣] وذكر فى كتابه الصناعتين ٣٧ نوعا .

٣ - ابن رشيق [٤] وذكر فى العمدة ٣٧ نوعا ، وأضاف إليها ٦٥ بابا ، فى أحوال الشعر وأغراضه .

٤ - التيفاشى [٥] ، فبلغ بها ٧٠ نوعا .

٥ - ابن أبى الأصبع الذى أوصلها إلى ٩٠ نوعا ، وأضاف إليها من مستخرجاته ٣٠ نوعا ، سَلِمَ له منها ٢٠ نوعا ، وأجرى تلك الأنواع فى الآيات القرآنية ، وسمّاه تحرير التحبير ، وهو أصح كتاب صنّف فيه ؛ لأنّه لم يتكلّم على النقل دون النقد ، وذكر أنّ ابن أبى الأصبع اعتمد على ٤٠ كتابا فى هذا الفن ، واطّلع الحلّى عليها ، وعلى ٣٠ كتابا آخر لم يطّلع عليها ابن أبى الإصبع [٦] ، ثم أوصل الحلّى فنون

---

(١) أبو الفرج ، قدامة بن جعفر ، البغدادى (ت ٣٣٧ هـ) كاتب ، ناقد ، من البلغاء الفصحاء ، له الخراج ، ونقد الشعر . انظر : الوافى بالوفيات ٢٤ / ٢٠٥ ، والأعلام ٥ / ١٩١ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٢٨ .

(٢) نقل ابن معصوم مقدمة الحلّى فى أول كتابه أنوار الربيع ١ / ٢٩ - ٣١

(٣) أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) عالم ، أديب ، لغوى ، ناقد ، مفسر ، له شعر ، نشأ فى بيت من بيوت العلم ، والأدب . انظر : دمية القصر ١ / ٥٢٥ ، والوافى بالوفيات ١٢ / ٧٨ ، وطبقات المفسرين للداودى ١ / ١٣٤ ، والأعلام ٢ / ١٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٤٠ .

(٤) أبو على ، الحسن بن رشيق ، القيروانى (٣٩٠ - ٤٦٣ هـ) أديب ، شاعر ، ناقد ، صاحب العمدة فى صناعة الشعر ونقده . انظر : الذخيرة ٤ / ٢ / ٥٩٧ ، والخريدة « شعراء المغرب » ٢/١٢١ ، ورايات المبرزين ١٣٧ ، والوافى بالوفيات ١٢ / ١١ ، والكنى والألقاب ٣ / ٩٨ ، ودائرة إفرام البستانى ٣ / ١٠٩ والأعلام ٢ / ١٩١ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٢٥ .

(٥) أبو العباس ، أحمد بن يوسف بن أحمد ، شرف الدين ، القيسى ، التيفاشى (٥٨٠ - ٦٥١هـ) عالم بالجواهر الكريمة ، ويقول الصفدى : له كتاب كبير إلى الغاية وهو فى أربعة وعشرين مجلدة جمعه فى علم الأدب ، وسماه « فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الألباب » ، تولى القضاء فى قفصة ، ووفاته بمصر ، انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٢٨٨ ، والأعلام ١ / ٢٧٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠٨ .

(٦) أورد الحلّى ثبتا بأسماء السبعين كتابا ، ومؤلفيها .
انظر : شرح الكافية ٢٣٥ - ٣٥٦ .

البديع إلى ١٤٠ نوع إذا اعتبرت أنواع الجناس نوعا واحدا ، وإلى ١٥١ نوع إذا اعتبرت أنَّ كل واحد من أنواع الأجناس نوعا مستقلا بنفسه .

سبب التسمية بالبديعية :

ذهب الدكتور بكرى شيخ أمين إلى أنَّ التسمية راجعة إلى شرح الحلّى لقصيدته الذى سمّاه شرح الكافية البديعية [١] ، فهو قد عارض البوصيرى [٢] فى قصيدة البردة وزنا وقافية وغرضا ومعنى [٣] ، وذاعت التسمية من بعده .

ويبدو لى أنّ التسمية والقافية الميمية [٤] أخذهما الحلى من ابن الخشاب [٥] فقد نظم « القصيدة البديعية العربية » [٦] وضمّنها عشرة مطالب فى الغزل ، واللغة ، والغريب ، والكتابة ، والعروض ، والقوافى ، والبلاغة .. وأولّها :

سَلاَ صَاحِبَىَّ الْجِزْعَ مِنْ أَبْرَقِ الْحِمَى
عَنِ الظَّبْيَاتِ الْخُرَّدِ الْبِيضِ كَالدُّمَى

وأخذت البديعية بعد الحلّى صفات خاصة ، وخصائص التزم بها الناظمون فيما بعد [٧] .

---

(١) البلاغة العربية فى ثوبها الجديد « علم البديع » ١٧ .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن سعيد بن حمّاد ، الصنهاجى ، البوصيرى ، المصرى شرف الدين (٦٠٨ - ٦٩٤ هـ) شاعر ، له ديوان . انظر : الكنى والألقاب ٢ / ٩٧ ، والأعلام ٦ / ١٣٩ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٨ .

(٣) عن أسباب ذيوع البردة راجع كتاب دكتور بكرى المذكور ١٧ .

(٤) مع ملاحظة أنّ المجرى فى قافية ابن الخشاب مفتوحا ، والمجرى فى البديعيات مكسورا ؛ لأنّ البديعية معارضة لبردة البوصيرى .

(٥) أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن أحمد (٤٩٢ - ٥٦٧ هـ) كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، وله معرفة حسنة بكل علم من العلوم ، ردّ على الحريرى فى مقاماته وشرح اللمع لابن جنى . انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ١٤ ، والأعلام ٤ / ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٠ .

(٦) منها نسخة فى دار الكتب المصرية رقم ٣٩٠٨ / أدب ، وعنها مصورة فى معهد المخطوطات العربية رقم ٦٥٣ / أدب .

وعن أغراضها راجع تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ١٧٢ .

(٧) لا يمكن حصر عددها على وجه التحديد ، والذى وصلنا منها ٩١ بديعية .

راجع التعريف بها فى : البديعيات فى الأدب العربى ٧١ .

من تلك الخصائص [1] :

١ - طول القصائد ، فمعظمها يقارب مائة بيت ، أو يزيد .

٢ - أن يشتمل البيت على لون أو أكثر من ألوان البديع .

٣ - غرض القصيدة مدح الرسول ﷺ .

٤ - القصيدة غالبا من بحر البسيط ، وفى أكثر أحوالها تكون القافية الميم المكسورة .

٥ - القصيدة مصحوبة فى الغالب بشرح مفصل لها .

٦ - تتضمن جميع مباحث علمى البيان والبديع ، كما تعالج بعض مباحث علم المعانى ، فى فنون مختلفة من البديع .

وهذا الفن بقواعده كاملة انتقل إلى لغات العالم الإسلامى ، فظهرت البديعيات فى اللغات : التركية ، والفارسية ، والأوردية ، وغيرها ، بل امتدّ تأثيرها إلى أنْ نظم الشعراء النصارى بديعيات فى مدح السيّد المسيح - رضى الله عنه - باللغة العربية [2] . .

وتركت البديعيات أثرا واضحا فى الأدب العربى [3] ، وفى علوم البلاغة العربية [4] .

وبعد الحِلّى نظم ابن جابر الأندلسى [5] « الحلة السيرا فى مدح خير الورى » ، والمعروفة باسم بديعية العميان ، وأوّلها :

بِطِيبَةَ انْزِلْ ، وَيَمِّمْ سَيِّدَ الأُمَمِ وَانْثُرْ لَهُ الْمَدْحَ ، وَانْشُرْ طَيِّبَ الْكَلِمِ

---

(١) أشار إلى بعضها د / بكرى فى البلاغة العربية فى ثوبها الجديد ١٢ .

(٢) نفسه ٢٢ .

(٣) راجع : البديعيات فى الأدب العربى ١٨٥ - ٢١٤ .

(٤) نفسه ٢٥١ - ٣١٤ .

(٥) أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن على ، الأندلسى ، الهوارى ، الضرير ، شمس الدين (٦٩٨ - ٧٨٠ هـ) شاعر ، من أهل المريّة ، رحل إلى دمشق ، وتوفى فى ألبيرة . انظر : الأعلام ٥ / ٣٢٨ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٣٥ .

ويقول ابن معصوم : إنّه معاصر للحلّى ، ولا يتحقق مَنْ الأوّل منهما .

ولم يستوف الأنواع التى نظمها الحلّى ؛ بل أخلّ بنحو سبعين نوعا منها ، وللرُّعَيْنِى [1] شرح على هذه البديعية [2] .

وإذا كان الحلّى وابن جابر اكتفيا بنظم الفنون البديعية ، فقد جاء مِنْ بعدهما مَنْ تكلّف ذكر اسم الفن فى بيت الشعر الذى يستشهد به على هذا الفن ، منهم :

* العز الموصلى [3] ، وقد عارض بديعية الحلى ، فمدح رسول الله ﷺ فى ١٤٠ بيت ، أولها :

بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِى الْعَلَمِ عِبَارَةٌ عَنْ نِدَاءِ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

ووضع عليها شرحا سمّاه « التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع »

* القصّار [4] ، نظم بديعية ، لم تصلنا ، وإنّما عرفنا بها من معارضة المنفلوطى لها ، ونصّ على ذلك .

* العطار الدنيسرى [5] ، له بديعية سمّاها « الفتح الإلّى فى مطارحة الحلّى » .

* العلوى اليمنى [6] : له بديعية ، وشرحها .

---

(١) أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن مالك ، الرعينى ، الغرناطى (٧٠٨ - ٧٧٩ هـ) أديب ، شاعر ، عارف بالنحو ، له مؤلفات كثيرة ، استجاز الصفدى فى سنة ٧٤١ هـ ، فأجازه . انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٣٠٥ . انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٣٠٥ ، والأعلام ١ / ٢٧٤ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢١٣ .

(٢) نشر عبد الله مخلص البديعية وشرحها بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ .

يوجد منهما « المنتقى » من انتقاء محمد بن إبراهيم بدر الدين البشتكى ، منه مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٦٠٧ / بلاغة وعنها مصورة معهد المخطوطات العربية رقم ٥٧ / بلاغة .

(٣) على بن الحسين بن على ، عزّ الدين (ت ٧٨٩ هـ) شاعر ، أديب .

انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ م ٣٤ ، والأعلام ٢٨٠/٤ ، ومعجم المؤلفين ٧٥/٧ .

عن مخطوطات البديعية وشروحه يراجع بروكلمان ، وقد ساقها كاملة كل من ابن حجة فى خزانة الأدب ، وابن معصوم فى أنوار الربيع ، والنابلسى فى نفحات الأزهار .

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، الأزدى ، التونسى ، عماد الدين (كان حيا سنة ٧٩٠ هـ) شاعر ، نحوى ، مشارك فى كثير من العلوم .

انظر : معجم المؤلفين ٢ / ١١٧ .

(٥) أحمد بن محمد بن على ، شهاب الدين (٧٤٦ - ٧٩٤ هـ) له نظم كثير ومن كتبه « نزهة الناظر فى المثل السائر » . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ٣٥ ، والأعلام ١ / ٢٢٥ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ١٣٠ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ، الزبيدى ، اليمانى ، الحنفى ، وجيه الدين (٧٤٨ - =

* عويس [1] ، ذكر الزركلى أنَّ « بديعيته » على قافية الراء .

* الآثارى [2] ، له بديعية أولها [3] :

دَعْ عَنْكَ سَلْعًا ، وَسَلْ عَنْ سَاكِنِ الْحَرَمِ

* الْمُقْرِئ [4] ، له بديعية ، وشرح عليها ، وأول بديعيته :

شَارَفْتَ ذَرْعًا ؛ فَذَرْ عَنْ مَائِهَا الشَّبِمِ
وَجُزْتَ نَعْلَى ؛ فَنَمْ لاَ خَوْفَ فِى الْحَرَمِ

* ابن حجّة الذى نظم بديعيته فى مدح رسول الله ﷺ فى ١٤٢ بيت ، وأوّلها :

لِى فِى ابْتِدَا مَدْحِكُمْ يَا عُرْبَ ذِى سَلَمِ
بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِى الْعَلَمِ

وشرحها فى كتابه « خزانة الأدب » ، وذكر فيه أبيات بديعيته ، وبديعية الحلّى ،

= ٨٠٣ هـ) فقيه ، أديب ، ناثر ، ناظم ، من كتاب الديوان . انظر : هدية العارفين ١ / ٥٢٩ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٩٣ .

(١) عيسى بن حجاج بن عيسى ، السعدى ، القاهرى (٧٣٠ - ٨٠٧ هـ) شاعر ظريف ، له ديوان شعر .

انظر : الأعلام ٥ / ١٠٢ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٢ .

(٢) شعبان بن محمد بن داود ، الموصلى ، زين الدين (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ) أديب ، شاعر له أكثر من ثلاثين كتابا . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ٤٦ ، والأعلام ٣ / ١٦٤ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٣٢ .

وقد أخبرنى د / زهير غازى أنَّ د / هلال ناجى حقّق ثلاث بديعيات للآثارى : صغرى ، ووسطى ، وكبرى ، ونشرتها وزارة الأوقاف العراقية فى سنة ١٩٧٧م .

(٣) عن مخطوطاتها مصورات فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وعنوانها « العقد البديع فى مدح الشفيع » .

راجع : فهرس المخطوطات المصورة ١ / ٤١٠ ، وبروكلمان ق ٦ / ٤٦ .

(٤) إسماعيل بن أبى بكر ، الشرجى ، الحسينى ، الشاورى ، اليمنى ، شرف الدين (٧٥٥ - ٨٣٧ هـ) شاعر ، أمير ، له ديوان شعر ، وعنوان الشرف الوافى . انظر : الأعلام ١ / ٣١٠ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦٢ .

وبديعية العميان ، وبديعية العز الموصلى مثبتا لنفسه الفضل والتفوّق على كل من سبقه .

* ابن ناصر [١] ، له بديعية « البيان عن موت الأعيان » .

* المنفلوطى الطهطاوى [٢] ، له بديعية عارض بها بديعية عماد الدين القصار ، وشرحها [٣] .

* الكَفْعَمِى [٤] : له بديعية أولها :

إِنْ جِئْتَ سَلْمَى ؛ فَسَلْ مَنْ فِى خِيَامِهِمُ
وَمَنْ سَكَنْ مَنْسَكًا عِنْ دُمْيَتِى ، وَدَمِى

وشرح بديعيته فى كتابه « زهر الربيع فى شواهد البديع » .

* السيوطى [٥] ، له بديعية أولها :

مِنَ الْعَقِيقِ وَمِنْ تَذْكَارِ ذِى سَلَمِ بَرَاعَةُ الْعَيْنِ فِى اسْتِهْلاَلِهَا بِدَمِ

وشرحها مطبوع باسم « نظم البديع فى مدح خير الشفيع » [٦] .

* الباعونية [٧] لها « الفتح المبين فى مدح الأمين » ومطلعها :

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد ، القيسى ، الدمشقى ، شمس الدين (٧٧٧ - ٨٤٢ هـ) حافظ ، شاعر ، مؤرخ . انظر : الأعلام ٦ / ٢٣٧ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١١٢ ، و١٠ / ٢٣٦ .

(٢) فرج بن أحمد بن أبى بكر بن محمد ، المالكى (كان حيا سنة ٨٩٩ هـ) أديب ، شاعر . انظر : معجم المؤلفين ٨ / ٥٧ .

(٣) منها نسخة كتبت سنة ٩٠٤ هـ ، مصورة رقم ٥٨ / بلاغة بمعهد المخطوطات العربية ، عن مخطوطة سوهاج رقم ٥١ / بلاغة .

انظر : معجم المخطوطات المصورة ١ / ٤١٢ .

(٤) تقى الدين ، إبراهيم بن على بن الحسن (٨٤٠ - ٩٠٥ هـ) فقيه ، أديب شاعر ، له مؤلفات . انظر : الأعلام ١ / ٥٣ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٦٥ .

(٥) أبو الفضْل ، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١ هـ) حافظ ، مفسر ، محدث ، أديب ، ناقد ، شاعر ، لغوى ، نحوى ، مؤرخ ، أكثر المؤلفين العرب تصنيفا . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٦ / ٦٠٣ ، والأعلام ٣ / ٣٠١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٢٨.

(٦) طبع المطبعة الوهبية بمصر ، سنة ١٢٩٨ هـ . انظر : معجم المطبوعات العربية ١ / ١٠٨١ .

(٧) أم عبد الوهاب ، عائشة بنت يوسف بن أحمد (ت ٩٢٢ هـ) شاعرة ، أديبة ، متصوفة . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٨ / ١١ ، والأعلام ٣ / ٢٤١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٥٧ .

فِى حُسْنِ مَطْلَعِ أَقْمَارٍ بِذِى سَلَمِ أَصْبَحْتُ فِى زُمْرَةِ الْعُشَّاقِ كَالْعَلَمِ

ولها شرح على بديعيتها [١] .

* الحميدى [٢] ، له « تمليح البديع بمدح الشفيع » ، و له عليها شرح مطوّل

* الطبرى [٣] ، ومطلع بديعيته :

حُسْنُ ابْتِدَاءِ مَدَيحِى حَيَّ ذِى سَلَمِ أَبْدِى بَرَاعَةَ الاسْتِهْلاَلِ فِى الْعَلَمِ

* المصرى [٤] ، له بديعية عارض بها الحلّى .

* ابن معصوم ، وبديعيته مشهورة ، وشرحها شرحا مطولا فى كتابه « أنوار الربيع فى أنواع البديع » [٥] ، ومطلع بديعيته :

حُسْنُ ابْتِدَائِى بِذِكْرِى جِيرَةَ الْحَرَمِ لَهُ بَرَاعَةُ شَوْقٍ يَسْتَهِلُّ دَمِى

* النابلسى [٦] ، وله بديعيتان :

الأولى : ولم يذكر فيها اسم الفن ؛ لما فى نظمها من التكلف ، والثقل ، وهى التى شرحها فى كتابه « نفحات الأزهار على نسمات الأزهار فى مدح النبى

---

(١) طبعت البديعية وشرحها على هامش خزانة الأدب فى القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ ، انظر : اكتفاء القنوع ٣٦١ ، ومعجم المطبوعات العربية ١ / ٥١٩ ، ورواها كاملة النابلسى فى نفحات الأزهار ، فى نهاية كل نوع .

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن على (ت ١٠٠٥ هـ) شيخ أهل الوراقة بمصر ، له الدر المنظم . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٨ / ١٦ ، والأعلام ٣ / ٢٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٢٠ .

(٣) محيى الدين ، عبد القادر بن محمد بن يحيى ، الحسينى (٩٧٦ - ١٠٣٣ هـ) من علماء الحجاز ، أديب ، شاعر ، مولده ، ووفاته بمكة المكرمة ، له مؤلفات كثيرة ، منها : « عيون المسائل من أعيان الرسائل » جمع فيه خلاصة أربعين علما . انظر : الأعلام ٤ / ٤٤ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٣٠٣ .
وقد روى ابن معصوم بديعيته فى أنوار الربيع .

(٤) أبو سعيد ، محمد بن داود ، المصرى الشاذلى . انظر : كشف الظنون ١ / ٢٣٥ .

(٥) وازن ابن معصوم فى شرحه لبديعيته بين نظمه ، ونظم كل من : صفى الدين الحلّى ، والعز الموصلى ، وابن جابر ، وابن حجة ، والمقرئ ، والطبرى ، والعلوى اليمنى ، والسيوطى ، وذكر أكثر أبيات البديعيات فى كتابه .

(٦) عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) شاعر ، أديب ، متصوف ، له مؤلفات كثيرة . انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ق ٨ / ٢٨٦ ، والأعلام ٤ / ٣٢ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

المختار » ، وهى فى ١٥٠ بيت ، وابتكر فيها أنواعا لتصبح أنواع البديع ١٥٥ نوع .

والثانية : تكلف فيها ذكر اسم الفن ، وطبعت على هامش كتابه بترتيب الفصول ، ثم أعادها كلّها فى نهاية الكتاب .

أسماء هذا الفن ، وآراء العلماء فيه :

كثير من أنواع البديع تتقارب فى الصفة ، وتتشابه فى الأسلوب ، وقد تختلف الأسماء بحكم التطور .

سُمِّى هذا الفن باسمين : مرّة باسم « أسلوب الحكيم » ، ومرّة باسم « القول بالموجب » .

ذهب السكّاكى [1] ، والقزوينى إلى أنّهما فن واحد .

وذهب ابن أبى الإصبع ، والبهاء السبكى ، وابن معصوم إلى أنّهما نوعان مختلفان .

ومن العلماء من سوّى بينه وبين الاستدراك كالصفدى ، والقزوينى ، والبهاء السبكى ، ومنهم من اعتبرهما نوعين متمايزين كابن أبى الإصبع ، وابن حجة ، وابن معصوم ، والنابلسى .

وقد يشتبه بفنين آخرين من فنون البديع ، هما :

التعطُّف : وقد فصّل ابن أبى الإصبع الفروق بينهما .

وتجاهل العارف : وقد اعتبر البهاء السبكى بعض شواهده من تجاهل العارف .

وذكر ابن معصوم أنَّ الشيخ عبد القاهر سمّاه « مغالطة » .

الخصائص العامة لهذا الفن :

يبدو للقارئ – للوهلة الأولى – أنَّ هذا النوع من البديع قريب من الريّاضة العقلية ، والتلاعب بالكلمات ، والمماحكة اللفظية ، وأنّه مفتقر إلى الخيال الشعرى ، والعاطفة الجيّاشة ، وإنْ كان لا يخلو من حسن السبك ، وروعة التعبير ، وجمال المفاجأة ، وسحر البيان .

---

(١) أبو يعقوب ، يوسف بن أبى بكر بن محمد ، سراج الدين ، الخوارزمى ، الحنفى (٥٥٥ – ٦٢٦ هـ) عالم بالعربية والأدب ، صاحب « مفتاح العلوم » انظر : الأعلام ٨ / ٢٢٢ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٢٨٢ .

ولكننا لو تأمّلنا فى ما أثبتته الدراسات النقدية الحديثة عن الخيال ، ووظائفه فى الإدراك ، والبناء الفنى فى العمل الأدبى لتبيّن لنا أنّ هذا النوع من أرقى الأنواع الفنية ، وأرحبها خيالا ، والمشهور فى تلك الدراسات مباحث كولريدج الذى قسم الخيال قسمين :

الخيال الأولى : هو القوة الأولية التى بواسطتها يتم الإدراك الإنسانى عامة .

والخيال الثانوى الخيال الشعرى : وهو قوّة تتجاوز الإدراك إلى عملية خلق يتحوّل فيها الواقع إلى المثالى .

يقول كولريدج : « إنّنى أعتبر الخيال إذن إمّا أوليا ، وإمّا ثانويا ؛ فالخيال الأولى : هو فى رأيى القوة الحيوية أو الأولية التى تجعل الإدراك الإنسانى ممكنا ، وهو تكرار فى العقل المتناهى لعملية الخلق الخالدة فى الأنا المطلق ، أمّا الخيال الثانوى فهو فى عرفى صدى **للخيال الأول** ، غير أنّه يوجد مع الإرادة الواعية ، وهو يشبه الخيال الأول فى نوع الوظيفة التى يؤديها، ولكنه يختلف عنه فى الدرجة ، وفى طريقة نشاطه إنّه يذيب ، ويلاشى ، ويحطّم لكى يخلق من جديد ، وحينما لا تتسنّى له هذه العملية فإنّه على الأقل يسعى إلى إيجاد الوحدة ، وإلى تحويل الواقع إلى مثالى ، إنّه فى جوهره حيوى ، بينما الموضوعات التى يعمل بها - باعتبارها موضوعات - فى جوهرها ثابتة ، لا حياة فيها » .

ويقول : « الخيال هو القدرة التى بواسطتها تستطيع صورة معينة ، أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس - فى القصيدة - فيحقّق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر ، هذه القوة تظهر فى صورة عنيفة .... هذه القوة التى هى أسمى الملكات الإنسانية تتخذ أشكالا مختلفة ، منها العاطفى العنيف ، ومنها الهادئ الساكن ، ففى صور نشاطها الهادئة التى تبعث على المتعة فحسب ، نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة » [1] .

فإذا قرأنا قول أبى الثناء محمود :

---

(١) انظر : كولريدج ١٥٦ - ١٥٩ .

رَأَتْنِى وَقَدْ نَالَ مِنِّى النُّحُولُ وَفَاضَتْ دُمُوعِى عَلَى الْخَدِّ فَيْضَا
وَقَالَتْ : بِعَيْنِىَ هَذَا السَّقَامُ فَقُلْتُ : صَدَقْتِ ، وَبِالْخَصْرِ أَيْضَا

فإنّك ترى كيف استطاع خيال الشاعر أنْ يقيم بناءين متقابلين من حقيقة واحدة ، فقد جرت عادة الشعراء أنْ يصفوا الطَّرْفَ بالسقم ، وهو من الصفات المستحبة فى المرأة ، والتى أكثروا من التّغزّل بها ، ولكنّهم لا يصفون الخصر بالسقم ، وإنْ كان من كمال الحسن ، ووفور الجمال أنْ تكون ناحلة الخصر ، هضيم الحشا ، وإذا بالشاعر يرى فى نحول الخصر سقما ، ويرى الجمال الرائع فى العين السقيمة يشد من أزره جمال أروع فى دقة الخصر السقيم ، وإنّك لترى اللفظ الواحد الذى إستخدمه فى البناءين يضيف إلى المعنى عمقا جديدا ، وإلى اللفظ نغما عذبا ، يسرى إلى النفوس هادئا ساكنا ، يبعث على المتعة واللذة .

كيف يختار الأديب اللفظ المعبر :

يمكننا – من دراسة النصوص – أنْ نتعرّف على أسس اختيار اللفظ المناسب ، وهى فى الغالب :

١ – اللفظ المشترك الذى يدلّ على معنيين أو أكثر دلالة حقيقية أو عرفية ، فقد مرّ بنا فى حكاية الغَضْبَانِ بن القَبَعْثَرَى كيف نقل اللفظ من مجاله إلى مجال آخر ؛ لأنّه يستخدم فى المعنيين معا عرفا وفى بيتى أبى الثناء استخدم اللفظ فى معنيين أحدهما متعارف عليه والآخر أوحى به .

٢ – التشابه فى الصورة بين اللفظين ، مع اختلافهما فى المعنى ، والاشتقاق ، اقرأ قول الصفدى :

قُلْتُ : أَمَا تَرْحَمُ الْمُحِبَّ فَقَدْ ذَابَ ضَنًى فِى الْهَوَى مِنَ الأَسَفِ
فَقَالَ : لاَ بَاسَ أَنْ تَمُوتَ ضَنًى قُلْتُ : وَلَوْ بَاسَ بَعْدَ ذَاكَ شُفِى

فقد استغل التشابه اللفظى بين « باس » من البأس ، و « باس » من التقبيل .

٣ – تقسيم الكلمة إلى قسمين ، ويدخل جزءا واحدا منها فى تركيبين مختلفين ، اقرأ قول الصفدى :

عَشِقْتُ مِنَ النَّصَارَى ظَبْيَ إِنْسٍ كَبَدْرٍ فِى الدَّيَاجِى قَدْ تَبَدَّى

وَقَالُوا : رَاحَ شَمَّاسًا . فَقُلْنَا : فَكَيْفَ بِحُسْنِهِ لَوْ شَمَّ وَرْدَا ؟

كلمة الشمّاس : من الوظائف الكنسية ، قسمها الشاعر قسمين : شمّ ، و آس ، وأبدل بالآس وردا فى التركيب الثانى .

٤ - قد يأتى المراد بما له تعلّق بالكلمة ، واقرأ قول الصفدى :

وَصَاحِبٍ لَمَّا أَتَاهُ الْغِنَى تَاهَ ، وَنَفْسُ الْمَرْءِ طَمَّاحَهْ
وَقِيلَ : هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا ؟ تَشْكُرُهَا : قُلْتُ ، وَلاَ رَاحَهْ

فكلمة « يد » أوحت إليه بكلمة « راحة » فاكتملت له النادرة .

٥ - قد تتحقق النادرة بما يضاد الكلمة ، انظر قول الصفدى :

يَقُولُ فِى مَجْلِسِنَا زَامِرٌ :
لَمْ تَلْقَ مَا أُلْقِى بِإِصْغَاءِ مَا عِنْدَكُمْ مَيْلٌ إِلَى حَاضِرِ ؟
قُلْنَا : وَلاَ شَوْقٌ إِلَى نَاءِ

فقد قابل بين لفظى : حاضر ، وناء .

٦ - اختلاف المتعلّق ، وتأمّل قول الصفدى :

يَقُولُ مُعَذِّبِى : اِصْبِرْ لِوَاشٍ أَتَاكَ ، وَلَمْ تَجِدْهُ إِلَيْكَ أَحْسَنْ
عَسَى يَتَوَسَّطُ الْوَاشِى بِخَيْرٍ فَقُلْتُ لِحُرْقَتِى : بِالسَّيْفِ أَحْسَنْ

التوسط بالخير ، يختلف عن التوسّط بالسيف .

وإذا تذكّرنا أنَّ التوسيط بالسيف كان من وسائل الإعدام فى مجتمع المماليك عرفنا معنى النادرة ، ومن المؤكّد أنَّ بعضا من الألفاظ التى لا يتّضح لنا معناها تحجب عنا حلاوة النادرة .

قيمة الكتاب ، وأثره فى المؤلفات البديعية من بعده :

ترك هذا الكتاب أثرا واضحا فى كل المؤلفات البديعيّة التى جاءت من بعده ، وذلك للأسباب الآتية :

* من المعروف أنَّ البلاغيين قبل الصفدى كانوا يتناولون فى كتبهم كل فنون البلاغة ، فيضعونها فى كتاب واحد ، مختصرا ، أو مطوّلا ، أو شروحا على كتاب ،

ولا أعرف – قبل الصفدى – عالما خصّ الفن البديعى الواحد بكتاب كامل – باستثناء فن الجناس [1] – فقد ألّف الصفدى الكتب الآتية :

جنان الجناس ، وفض الختام عن التورية والاستخدام ، وكشف السر المبهم فى لزوم ما لا يلزم ، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ، والهول المعجب فى القول بالموجب ، ومن المؤكّد أنْ يستوعب فى كتابه تفاصيل أكثر ، وأمثلة أشمل ، فنلاحظ أنّ ابن أبى الأصبع لم يأت فى كتابيه « تحرير التحبير ، وبديع القرآن » إلا بمثالين اثنين فقط ، ثم جاء من بعده أبو الثناء محمود فذكر ستة أمثلة ، وأمّا الصفدى فقد ذكر فى الغيث المسجم ٣٧ مثالا من الشعر ، وبعض أمثلة من النثر ، تناقلها عنه البديعيّون جميعا بالترتيب نفسه الذى أوردها به الصفدى ، ثمّ وسّع تلك الأمثلة فى هذا الكتاب ، ليضمّ المتبقى منه ١٠٢ نادرة من النثر ، و١٥٧ نتفة من الشعر ، وَرَدَ أكثرها ، فيما بعد فى شروح البديعيّات كلّها مثل : خزانة الأدب لابن حجة ، ومعاهد التنصيص للعباسى ، وأنوار الربيع لابن معصوم ، ونفحات الأزهار للنابلسى وغيرها .

* ذكر الصفدى أنّ الاستدراك من أنواع القول بالموجب ، وليس نوعا خارجا عنه ، وضمّ إليه شواهد الاستدراك ، وسار البلاغيّون من بعده على رأيه ؛ فجعلوهما نوعا واحدا .

* نبّه على تأثر البلاغيين بما توصّل إليه علماء أصول الفقه ، ولم يسبقه إلى هذه الحقيقة أحد ، ولم يذكرها من بعده إلاّ تلميذه البهاء السبكى فى عروس الأفراح .

* كل تعليقات الصفدى ، ونقده للأمثلة الشعرية رواها عنه من جاء بعده من النقاد .

---

(١) فى المكتبة العربية إشارة إلى « أجناس التجنيس » ، للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) و « الأنيس فى غرر التجنيس » لشميم الحلى (ت ٦٥١ هـ) ، ولا أعرف مدى اعتبارهما كتبا علمية ؛ وأمّا الكتب التى تحمل اسم « الكناية » فهى كثيرة ، وكلها اختيارات أدبية ، وليست كتابا فى الفنون البديعية .

مخطوطة الكتاب :

ليس للكتاب إلاّ مخطوطة واحدة فقط فى دار الكتب المصرية برقم ٤٣٥ / بلاغة ، وهى بخط المؤلف ، فى ١٠٤ صفحة وفى كل صفحة أحد عشر سطرا فى المتوسط ، وفى كل سطر ٩ كلمات فى المتوسط ، وهى التى أقدمها للقارئ .

وهى مكتوبة بخط جيّد ، فيه بعض الضبط ، وفيه خصائص كتابة الصفدى التى تعتمد على الزخارف الشكلية ، والمزج بين أنواع الخطوط المختلفة من نسخ ، وتعليق ، ورقعة ، ومغربى .. . وتميّز خطه بمجموعة من المصطلحات والرموز التى تحتاج إلى خبرة طويلة فى قراءتها ، وحلّ طلاسمها ، وقد قدّمت للقارئ صورة منها فى صفحة لاحقة ، مع بعض الصور من أوراق المخطوطة .

عملى فى التحقيق :

* تحرير نص الكتاب ، وتقويمه ، وترتيبه ، وتوثيق مصادره ، وشرح الألفاظ التى رأيت أنّها تحتاج إلى شرح وتوضيح .

* فى الكتاب عدد من آيات القرآن الكريم ، ضبطت حروفها ، وذَكَرْتُ أسماء سورها ، ورقم كل سورة ، ومن بعده رقم الآية .

* خَرَّجْتُ أحاديثه ، وآثاره .

* وثَّقْتُ أبياته الشعرية ، ونسبت أكثر ما أغفل المؤلف نسبته من أبيات ؛ بحسب ما يسَّرَتْه لى مصادرى .

* ترجمت أعلامه ، ولم أذكر فى مصادر الترجمة شيئًا من الكتب التى ذكرها الزركلى فى « الأعلام » ، أو كحالة فى « معجم المؤلفين » ، مكتفيا بالإحالة عليهما .

* فى الأبيات الشعرية ذكرت بحر البيت ، ونوع قافيته ، والاختلاف فى روايته ، وتعدد نسبة النصوص إلى قائليها .

* عَرَّفْتُ بالأماكن الواردة فى الكتاب .

* وضعت لكل نص رقما ، وجعلت حاشيته ثلاثة أقسام :

القسم الأول : لقائله والتعريف به ، واختلاف نسبته ؛ إنْ نسب إلى أكثر من قائل .

والقسم الثانى : لتوثيق النص وتخريجه .

والقسم الثالث : لبيان البحر ، والقافية ، واختلاف الروايات .

* صنعت له فهارس شاملة تُسَهِّل الانتفاع به .

* قدمت للكتاب بدراسة وافية لما اشتمل عليه .

* فى الأعلام ، وفى النصوص اضطراب فى الضبط ، وغموض فى الرموز التى يستخدمها من ضمة ، وفتحة ، وكسرة ، وسكون وشدّة ، ونَقْط ؛ فأصلحت هذا الاضطراب ، وصحّحت الضبط بالعلامات المستعملة اليوم ، وصححت ما يمكن أنْ يكونَ قد وهم فيه الصفدى من الأخطاء النحوية ، وبخاصة فى المثنى ، والأسماء المقصورة ، والمنقوصة ؛ فغالبا ما يتبع الرسم القرآنى للكلمات ؛ فينتج عن رسمها خطأ فى قراءتها .

* فى الرسم الإملائى للأسماء والأفعال الثلاثية المنتهية بالألف اتخذت خطة واحدة فى رسمها ، متّبعا فى ذلك رأى البصريين فقد رأيته أصوب وأَوْفَق من رأى غيرهم ، وذلك للسبب الآتى :

قال ابن السّيد البطليوسى [1] : « لا خلاف بين البصريين والكوفيين فى أنّ الاسم الثلاثى المفتوح الأول نحو « الصفا ، والفتى » ينظر إلى أصله ؛ فإنْ كان من ذوات الواو كتب بالألف وإنْ كان من ذوات الياء كتب بالياء ، واختلفوا فى الثلاثى المكسور الأول ، والمضموم الأول ؛ فالبصريون يجرون ذلك مجرى المفتوح الأول ، والكوفيون يكتبون كل ثلاثى مكسور الأول ، أو مضمومه بالياء ، ولا يراعون أصله ، وليس بأيديهم حجة يتعلّقون بها .... ومن النحويّين من يرى أنْ يكتب كل هذا بالألف حملا للخط على اللفظ » [2] ؛ لذلك سأكتب كل ثلاثى من ذوات الواو بالألف مثل : الظُّبا ، والضُّحا ، والدُّجا ، والحِجَا مراعيا لأصل الألف .

---

(١) أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السيد ، البَطَلْيَوْسِى ، الأندلسى (٤٤٤ -٥٢١ هـ) من العلماء باللغة والأدب والنحو ، له مؤلفات كثيرة ، أشهرها الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٥٩٨ ، والأعلام ٤ / ١٢٢ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٢١.

(٢) الاقتضاب ٢ / ١٣٥.